المحاضرة التّاسعة

علاقة علم الدّلالة بالفلسفة والمنطق

I–مدخل إلى علاقة الدّلالة بالمنطق:

يستعمل كلّ من المصطلح "منطلق" (logic)، ومنطقيّ (logical) ببساطة ليعنيا ما هو معقول أو مقبول عقلا (reasonable or sensible) إلاّ أنّ هناك مفهوما أضيقَ مما وظّف له المصطلحان السّابقان، وهو على وثيق علاقة بالأنظمة المنطقية الصّورية (Formal logical systems) التي تتشابه إلى حدّ كبير بالأنظمة الرّياضية، التي تتعامل مع صحّة النّتائج المستنبطة أو المستوحاة من مقدّمة معيّنة، ومثال ذلك:

- **المقدّمة** – كل الرّجال ميّتون All men are mortal

–سقراط رجل socrates is a man

- **الاستنتاج** – إذن سقراط ميّت Therefore Socrates is mortal

فالاستنتاج الأخير مستنبط منطقيا من الجملتين المقدّمتين الصّحيحتين، فهو صحيح منطقيا (is a valid Arguneut)، أمّا إذا كانت المقدمة غير منطقية فالاستنتاج خاطئ. مثال آخر: كل النّجوم أغنياء –فلان نجم: إذن فلان غنيّ [1].

وبناء وعليه، فإن صحّة الاستنتاج المنطقي أمر مرتبط بما تتضمّنه الجملتان المقدمة من أحكام بغضّ النّظر عن طبيعة هذه الأحكام، من حيث مدى قربها أو بعدها عن الواقع، ومن هنا تتأتى العلاقة القَرابية بين الاستنتاجات المنطقية والمفاهيم الرياضية، حيث يبتعدان أحيانا كثيرة عن صحّة وصدق وواقعية ما تقرّره أحْداسنا أو بديهياتنا [2].

وإذا ما ربطنا المنطق باللّغة وجدنا جملا sentences توصف بأنها تحمل او تعبر عن أخبار

---

[1] _ ينظر تفصيل ذلك كتاب: بالمر plamer: علم الدّلالة، تر: أحمد طاهر حافظ، دار الوفاء للطباعة والنّشر، الإسكندرية، ط1، 2012م، ص 259 وما بعدها.

[2] _ المرجع نفسه، ص 263.

تحتمل الصّدق أو الكذب يسمّى المنطق الخبري: (propositional logic).

فقولنا مثلا:

-John is in his office.

-John is at home.

فالإخبار (information) هو المحدّد الذي سيبرز أيّهما ستكون صحيحة، وإذا افترضنا صحّة أحدهما فسنستنج أنّ الجملة الأخرى خاطئة بالضرورة [1].

أشار بالمر أيضا إلى أنّ العلاقات القائمة بين الجمل هي علاقات منطقية (logical connectives) من مثل:

-**النّفي** Negation ⟵ Not

-**الرّبط** conjunction ⟵ and

-**الفصل** disjunction ⟵ or

-**الشّرط** inplication ⟵ -then if

كما أنّ الجمل بسيطة كانت أو معقّدة يمكن أن ترتبط مع بعضها البعض بروابط منطقية فتشكل بذلك ما أطلق عليه بالمراسم (علم التركيب المنطقي) (logical syntax)[2]. كما أنّ تحديد وتعيين الرّوابط المنطقية بين الجمل، هو من صميم علم الدّلالة المنطقي (logical sematics) الذي يهتم بصدق أو كذب الجمل التي تحمل أخبارا، ولعله بات من المسلّم به هنا أنّ كل جملة إمّا أن تكون صادقة أو كاذبة، لقد خصّص الرّمز (T) (true) للجملة الصّادقة، و (F) (false) للجملة الكاذبة[3].

-**الجملة في الفصحى قد تكون صادقة أو كاذبة** بينما في الاستعمال الدارج قد تكون بين بين مثال: -هل الطّقس ممطر أو لا؟

---

[1] _ المرجع السابق، ص 265.

[2] _ المرجع نفسه، ص 266.

[3] _ بالمر: علم الدلالة، ص 267.

-لا هذا ولا ذاك؟

فالجملة الاستفهامية الأولى صادقة، بينما إجابة المجيب في الجملة الثّانية، تجعلها لا صادقة ولا كاذبة. لأنّ الإجابة لم تكن قاطعة، بل تخمينية؛ فربّما فكّر، السّحب كثيفة قابلة لسقوط المطر.

-معيار الصّدق والكذب مع الاختيار (أو) رابط الفصل: نتمثّله من خلال المثال الموالي:

-محمّد في الكتبة أو في المسجد؟ (**إحداهما كاذبة والأخرى صادقة**)

-إنّه في المسجد: **صادقة**

نستنتج أنّ الدّلالة الضّمنية أو الاستنتاج الدّلالي (implication) شأنه شأن الرّوابط المنطقية لا ينسجم تماما مع استخدام أي شيء يمكن وجوده في لغة طبيعية يتجسد هذا إذا كانت الجملة تتنافى والعقل [1]. مثال ذلك الجملة الإنجليزية: If Iam invisible, every one, can see me

ومعناها: لو كنت مخفيا فكلّ شخص يمكنه رؤيتي. فهذه جملة كاذبة، لأنّ الخفاء يعني عدم القدرة على رؤية الشّيء المخفيّ، بينما الجملة تطرح تناقضا بربطها بين الخفاء، والقدرة على الرّؤية، وهذا ليس منطقيا البتّة.

II-علاقة علم الدّلالة بالفلسفة :

و لم يكن علم الدّلالة متصلا بالمنطق فحسب، بل قد تجاوزه إلى علاقته بالفلسفة، ولعل **ابن سينا** (ت 428ه) أكثر الفلاسفة اهتماما بهذا الموضوع، حيث عرّف الدّلالة بقوله: «فهم أمر من أمر» [2]؛ فالعلم بأمر ما يستلزم بالضّرورة العلم بشيء آخر، فالأمر الأول هو الدّال، والأمر الثّاني هو المدلول، والعلاقة بينهما تلازمية.

ومن هذا المنطلق أصبح موضوع «المعنى Meaning-sens» من أهمّ موضوعات علم الفلسفة «حيث أصبح إشكال العلاقة بين "المعنى" والحقيقة أو "العالم الخارجي" إشكالا واردا عبر تأريخ الفلسفة، في التراث الإنساني، سواء تعلّق الأمر بالموضوعات-أو الأشياء-التي تنتمي إلى التّجربة

---

[1] _ بالمر: علم الدّلالة، المرجع السابق، ص 272.

[2] _ التّهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المرجع السّابق، ج1، ص 486.

والإحساس، أو بعالم المجرّدات والمُثُل والقِيَم (الخير، الحقّ، الجمال) [1]، وحديث الفلاسفة الرئيسي في ذلك هو القول بإمكانية التّطابق بين اللّغة والعالم كما نوّه إلى ذلك **جابر بن حيان** (ت: 197ه).

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنّ بحث الدّلالة عند الفلاسفة المتقدّمين **كالفرابي** (ت: 339ه)، **وأبو حامد والغزالي** (ت: 505ه) انحصر أساسا في المفاهيم المقدّمة حول الدّلالة اللفظية؛ فالدّلالة عندهم تتناول اللّفظة وأثرها النفسي، فالألفاظ عند الفارابي مثلا:« علامات مشتركة إذا سمعت خطر ببال الإنسان الشيء الذي جعل اللفظ علامة له...» [2]؛ فقد اعتبر أنّ الألفاظ هي أحد الموجودات التي يمكن أن تُعقل، وأنّ المعاني هي المعقولات التي قد تكون مفردة كالمعاني التي تدلّ عليها الكلمات: فرس، إنسان، كتاب، أو تكون معقولات مركّبة من جزأين مفردين أحدهما مسند والآخر مسند إليه.

وتتنزّل مساهمة الفارابي هذه في سياق تدعيم فكرة أسبقية المعاني على الألفاظ التي نادى بها أيضا ابن سينا، فالمعنى عند هذا الأخير مدرَك، تدركه النّفس في المحسوس من غير أن يدركه الحسّ الظاهر ، فالدلالة بذلك متولدة من الذهن وليس من الرؤية الحسية بالعين المجردة، فهي متغيرة بتغير تصوراتنا للعالم الخارجي، ودلالة الألفاظ على مدلولاتها ليست ذاتية حقيقية، بل هي دلالات على ما في الأذهان لا على ما في العيان كما يرى **فخر الدين الرّازي** (ت: 606ه) [3].

فعندما نرى جسما من البعد قد نظنّه صخرة، فنقول صخرة، فإذا اقتربنا منه وشاهدنا حركته اعتقدنا أنه طير فنقول بذلك، فإذا ازداد قربنا له اعتقدنا أنه إنسان فنقر بذلك، وما هذا التغير في الحكم على طبيعة المنظور إليه إلا نتيجة لتصوراتنا الذهنية التي تتأثر بالبعد، والأزمنة والأمكنة وغيرهما.

---

[1] _بنعيسى عسو أزاييط: الوجيز في علم الدلالة، دار الأمان، الرباط-المملكة المغربية، ط1، 2006، ص 34.

[2] _ الفارابي، أبو نصر محمد: الألفاظ المستعملة في المنطق، تح: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط2، 1968، ص 43.نقلا عن: محمد بن علي الحضرين الزهراني: علم الدّلالة في الدّرس العربي التلقي والاستنبات-دراسة وصفية تحليلية في المنجز اللّساني، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2018م، ص 16-17.

[3] _ ينظر: محمد بن على الحضر بن الزهراني: علم الدلالة في الدّرس العربي، ص 18.

نستنتج مما سبق ذكره أن اللفظ لا يكون موجودا دون معناه، ولا وجود للفكرة دون الكلمات، ومنه فإنه يكون للعبارة معنى فقط إذا ارتبطت بفكرة ما أو صورة ما موجودة بالذهن.

ولأن موضوع (المعنى) ارتبط بقوة - في الحقل الفلسفي- باللغة طرحت أسئلة جوهرية تنصب على مجموعة من العلاقات نوجزها في الآتي: [1].

-علاقة اللغة بالمعنى.

-علاقة اللغة بالفكر.

-علاقة اللغة بالعالم.

-طبيعة اللغة وعلاقتها بالإنسان.

وفي ظل هذه الأسئلة الفلسفية، تولدت عدة مقاربات في الشرق والغرب، قديما وحديثا، حاولت تفسير هذه العلاقات القائمة بين الثنائيات، وإن اختلفت مرتكزاتها النظرية والمنهجية، وتباينت معطياتها الفكرية والحضارية.

ويمكن تلخيص هذه المقاربات في الآتي:

1-مذهب الاعتباطية: ويقوم على القول بوجود علاقة اعتباطية بين الصّيغة اللّغوية والمدلول المعنوي، ويتزعم هذه المقاربة كلّ من أرسطو والاسميين (les Nominalistes)[*]

2-مذهب الطبيعيين: (Naturalisme): ترتكز هذه المقاربة على فكرة أنّ الكلمات تعبر عن مدلولاتها بطريقة طبيعية، من زعمائها افلاطون والطبيعيين.

3-مذهب التوفيقيين: ترتكز هذه المقاربة على مسألة «المفهوم المجرد، فمفهوم (البقرة) مفهوم مجرد تم استنتاجه من أنواع مختلفة من البقار المتشابهات.

و لم تتمظهر علاقة علم الدّلالة بالفلسفة عند هؤلاء فحسب، بل امتدت في العصر الحديث إلى ظهور ما يسمى تيار الفلسفة التّحليلية، الذي قاده كل من أوستن (Austin) في مدرسة أكسفورد،

---

[1] _ ينظر: بنعيسى عسّو أزابيط: الوجيز في علم الدلالة، ص 35-36.

[*]-**الاسميون**: مصطلح يطلق على المذهب الاسمي القائل بأنّ المعنى الكلّي قائم في عقل العارف، ولا مقابل له في الخارج.

وسورل searl وغرايس Grice والذي اعتمد أساسا في أبحاثه على علاقة (الدّلالة) بقضايا الفلسفة في كل أبعادها اللّسانية والفلسفية إلى يومنا هذا، بحثا في إنتاج المنطوق من جهة، وفهمه من جهة ثانية.